

حكايات من التاريخ

رسالة عجيبة

وحكاية اخرى



رسوم
محمد نبيل

كتبها
محمد رجب

سقي



جميع الحقوق محفوظة لشركة **سفيم**

رقم الإيداع : ٢٢٨٧٤ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي : 5 - 392 - 361 - 977 I.S.B.N.



إلى أين يا صاحب الدار؟!

عَامُ (١٣٤) الْهَجْرِيَّ .. «دِمَشْقُ» ... عَايَنَ الرَّسُولُ الدَّارَ. وَقَفَ فِي حَيْرَةٍ. الدَّارُ فَخْمَةٌ.
عِزُّ وَجَاهٌ. خَدَمٌ وَحَشَمٌ. غِلْمَانٌ وَحَرَسٌ. صَفَقَ الرَّجُلُ. جَاءَهُ غِلْمَانٌ : مَاذَا تُرِيدُ، أَيُّهَا
الْغَرِيبُ؟

أَجَابَ فِي غِلْظَةٍ : صَاحِبُ الدَّارِ !

أَفْسَحُوا الطَّرِيقَ. قَالُوا : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ..
وَصَلُّوا إِلَى بُسْتَانٍ. نَاسٌ يَسْمُرُونَ. الْبِشْرُ يَعْلُو الْوُجُوهَ.
أَظْلَمَ وَجْهَ الرَّسُولِ. أَيُوجَدُ فِي «دِمَشْقَ» مَنْ يِمَاتِلُ

خَلِيفَةَ «بَغْدَادَ» عَظْمَةً وَبَذَخًا ؟

- مَنْ مِنْكُمْ صَاحِبُ الدَّارِ ؟

تَضَاحَكُوا وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ .

قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ :

- لَيْسَ بَيْنَنَا ..



– فَأَيْنَ يَكُونُ ؟

– فِي الْحَمَّامِ . لَا عَلَيْكَ اجْلِسْ مَعَنَا . تَتَاوَلْ طَعَامًا وَشَرَابًا . جَلَسَ . غُلَامٌ جَاءَهُ بِشَىْءٍ
مِنَ الْفَالَوْدَجِ . زَوَّدَهُ بِشَرَابٍ مُنْعَشٍ . ذَهَبَ الشَّرَابُ بِمَا عَانَاهُ مِنْ مَشَقَّةٍ .
– أَقْبَلَ صَاحِبُ الدَّارِ ..

بَرَزَ رَجُلٌ قَصِيرٌ . بَدِينٌ هُوَ . تَخَطَّى عَتَبَةَ الْخَمْسِينَ . وَجَّهَهُ فِيهِ مَلَاةٌ . أَقْبَلَ إِلَيْهِ .
مَدَّ إِلَيْهِ يَدَهُ :

– السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَخِي . هَلْ أَحْسَنُوا لِقَاءَكَ ؟
بَحَلَقَ فِي مُضِيفِهِ بِبِلَاهَةٍ . تَطَلَّعَ فِي رُعْبِ
الْبُسْتَانِ يَغُصُّ بِالْخَلْقِ . شَعَرَ بِالْخَطَرِ .
صُدَاعٌ يَنْقُرُ رَأْسَهُ . قَالَ : أَنَا رَسُولُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .





- مَرَحَبًا ..

- لَكَ مِنْهُ رِسَالَةٌ ..

افْتَرَّ ثَغْرُ «عَبْدِ اللَّهِ» عَنْ بَسْمَةِ . اسْتَنَارَ وَجْهُهُ . قَالَ : أَهْلًا بِرَسُولِ الْخَلِيفَةِ . نَوَّرَتْ

«دِمَشْقُ» .

نَاوَلَهُ الرِّسَالَةَ .

أَهْ لَوْ أَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ تَحَرَّكَ ! يُصْبِحُ الرَّسُولُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ !

- أَنَا بِلَا رَيْبٍ مِنَ السُّعْدَاءِ . هَلْ يَشْغَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَالَهُ بِي ؟ !

نَادَى «عَبْدُ اللَّهِ» : أَيُّهَا الْأَحْبَابُ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُنِي فِي «بَغْدَادَ» .

انْطَلَقَ شَابٌ إِلَيْهِ صَائِحًا : يَسْتَدْعِيكَ يَا أَبَتِ ؟ لَا تَذْهَبْ !

- وَلِمَ لَا يَا وَلَدِي ؟

- نَسِيتَ أَنَّهُ لَا يُحِبُّنَا نَحْنُ الْأُمُويُّونَ ؟

صَاحَ فِيهِ الْأَبُ : صَهْ ! لَا تُقَاطِعْنِي ! قُلْتُ إِنِّي ذَاهِبٌ مَعَ الرَّجُلِ إِلَى الْخَلِيفَةِ .

لَا تَحْزَنُوا . لَا تَغْضَبُوا ..



خَجَلَ الْإِبْنُ. سَأَلَ: هَلْ تُوصِينِي؟

- بِزِيَادَةِ الصَّدَقَةِ. لَا تَغْضَبْ. اسْتَوْصِ بِالْحَرِيمِ خَيْرًا.

- أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .. التَفَتَ «عَبْدُ اللَّهِ» إِلَى الرَّسُولِ..

قَالَ رَسُولُ الْخَلِيفَةِ: رِفَاقِي خَارِجَ الدَّارِ، لَكِنْ ...

- لَكِنْ مَاذَا؟

- أَصْدَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرًا صَعْبًا وَ ...

قَاطَعَهُ الدِّمَشْقِيُّ: - نَفِّذْهُ يَا أَخِي ...

- لَكِنَّهُ صَعَبٌ ..

الرَّسُولُ فِي كَرْبِ الرَّجُلِ طَيِّبٌ. أَحْسَنَ الرَّجُلُ ضِيَاغَتَهُ. هَلْ يَسْتَحِقُّ أَمْثَالَهُ التَّكْيِيلَ؟

عَادَ الدِّمَشْقِيُّ يَقُولُ: نَفِّذْهُ!

- إِذَنْ فَاسْمَعْ! أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَسُوقَكَ فِي الْأَغْلَالِ .. الرَّجُلُ هَادِيٌّ. وَجْهُهُ

بَاشٌ. تُبِيرُ قَسَمَاتِهِ ابْتِسَامَةً .. أَسْلَمَ يَدَيْهِ لِلْبَغْدَادِيِّ: هَلُمَّ بِنَا ...

تَحَرَّكَ مِنَ الْبُسْتَانِ. قَالَ الدِّمَشْقِيُّ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا

كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ..



- مَدَّ اللَّهُ فِي عُمَرِ مَوْلَايَ ..

تَطَلَّعَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ. سَأَلَهُ: مَاذَا جَرَى؟

قَالَ الرَّسُولُ : وَاللَّهِ يَا مَوْلَايَ إِنَّهُ لَرَجُلٌ عَجِيبٌ .

- كَيْفَ ؟

- لَمْ نَكَدْ نَبْرَحْ «دِمَشْقَ» إِلَّا وَرَاحَ يُحَدِّثُنِي ..

- عَنْ أَىِّ شَيْءٍ ؟

- تَصَوَّرَ يَا مَوْلَايَ أَنَّهُ تَحَدَّثَ عَنْ مَزَارِعِهِ وَمَا تُخْرِجُهُ مِنْ ثِمَارٍ .

- فَمَا فَعَلْتَ بِهِ ؟

- صَحْتُ فِي وَجْهِهِ : كُفَّ عَنْ الْهَذْيَانِ .. يَطْلُبُكَ الْخَلِيفَةُ وَتَتَحَدَّثُ عَنْ الثَّمَارِ وَالنَّعْمَةِ ؟

- وَبِمَ أَجَابَكَ ؟

- قَالَ بِيَسَاطَةِ : أَتَحَدَّثُ عَنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا . أَنْسَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ ؟

صَرَخْتُ فِي وَجْهِهِ : مَسْرُورٌ أَنْتَ وَيَدَاكَ وَقَدَمَاكَ مُقَيَّدَةٌ ؟

ضَحِكَ وَأَجَابَنِي : وَهَكَذَا كَانَ «يُوسُفُ» : ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ .

سَأَلَهُ الْخَلِيفَةُ : وَبَعْدُ ؟

قَالَ الرَّسُولُ : لَزِمَ الانْصِرَافَ عَنِّي . أَقْبَلَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ حَتَّى وَصَلْنَا !

أَجْلَسَهُ الْخَلِيفَةُ بِجَانِبِهِ . اعْتَذَرَ إِلَيْهِ : عَفْوًا ، لَقَدْ أَسَآنَا إِلَيْكَ !

فِي سَكِينَةٍ وَهْدُوٍّ نَطَقَ الْأُمُوْيُ : مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ..

عَادَ الْخَلِيفَةُ يَقُولُ : وَنَعَصْنَا عَلَيْكَ حَيَاتَكَ لِمُجَرَّدِ وَشَايَةٍ ..

- وَشَايَةٍ ؟ مِمَّنْ ؟

- جِيرَانُكَ فِي «دِمَشَقَ» .. قَالُوا : «عَبْدُ اللَّهِ الْأُمَوِيُّ» يَسْكُنُ الْقُصُورَ وَيَحْرِضُ النَّاسَ عَلَى الثَّوْرَةِ ..

- مَعْقُولٌ ؟ لَا أُصَدِّقُ !!

- لَقَدْ أَرْسَلْتُ جَيْشًا لِيُدمِرَ قَصْرَكَ إِنْ رَفَضْتَ الْمَجِيءَ ..

قَالَ الْأُمَوِيُّ :

- أَدَامَ اللَّهُ عِزَّ مَوْلَايَ وَعَدَلَهُ،

مَا كُنْتُ لِأُخْلِفَ مَوْعِدِي مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ..

هَتَفَ الْخَلِيفَةُ فِي وُدٍّ :

- مَاذَا تَطْلُبُ ؟

قَالَ لَهُ الْأُمَوِيُّ :

- مَا أَجْمَلَ أَنْ أَعُودَ إِلَى أَهْلِي

وَوَلَدِي ! هُمْ فِي كَرْبٍ الْآنَ .

- وَالْمَالُ ؟

- لَا حَاجَةَ لِي بِهِ . الْمَالُ كَثِيرٌ

عِنْدِي ..



صَفَّقَ الْخَلِيفَةُ. قَالَ لِكَبِيرِ حُرَّاسِهِ :

- ارْجِعُوا بِعَبْدِ اللَّهِ إِلَى بَلَدِهِ مُكْرَمًا .

- أَمْرُ مَوْلَايَ !

قَالَ الْخَلِيفَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ :

- وَأَنْتَ يَا أَخِي إِنْ احْتَجَّتْ فِي مَعْرُوفٍ أَرْسِلْ إِلَيْنَا فِي التَّوَّ..

- جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا مَوْلَايَ !



رِسَالَةٌ عَجِيبَةٌ !

رَاطَبُ جَيْشِ الْحَقِّ خَارِجَ الْحِصْنِ .
 حِصْنُ بَابِلْيُونِ الْمَنِيعِ . قَلْعَةُ «مِصْرَ» الْحَصِينَةِ لِلرُّومَانِ ..
 كَانَ «الْمُقَوْقَسُ» عَظِيمُ الْقِبْطِ فِي حِيرَةٍ ..
 طَالَ حِصَارُ الْمُسْلِمِينَ شُهُورًا . ضَاقَ أَهْلُ الْحِصْنِ بِالْحِصَارِ ..
 عَزَمَ «الْمُقَوْقَسُ» عَلَى وَضْعِ حُلٍّ لِلْمَسْأَلَةِ ..
 أَرْسَلَ «الْمُقَوْقَسُ» لِيُفَاوِضَ الْمُسْلِمِينَ .. انْطَلَقَ الرُّسُلُ إِلَى مُعَسَّكَرِ «عَمْرُو
 ابْنِ الْعَاصِ» . «عَمْرُو» أَمِيرُ الْجَيْشِ اللَّابِدِ ..
 بَعْدَ يَوْمَيْنِ أَعَادَ «عَمْرُو» الرُّسُلَ بِرِسَالَةٍ قَصِيرَةٍ ..
 رِسَالَةٌ عَجِيبَةٌ تَلَقَّاهَا «الْمُقَوْقَسُ» : ثَلَاثُ
 خِصَالٍ تَخْتَارُونَ بَيْنَهَا :
 - أَوْ تَدْفَعُوا الْجَزْيَةَ ..
 - أَوْ الْحَرْبُ وَالْجِهَادُ إِلَى أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ !
 انْطَلَقَ «الْمُقَوْقَسُ» يَسْأَلُ رُسُلَهُ : كَيْفَ
 رَأَيْتُمُ الْمُسْلِمِينَ ؟
 - الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ ..
 - وَمَاذَا أَيْضًا ؟
 - وَالتَّوَضُّعُ أَحَبُّ مِنَ الرَّفْعَةِ ..
 - وَمَاذَا أَيْضًا ؟



- جُلُوسُهُمْ عَلَى التُّرَابِ . يَأْكُلُونَ عَلَى رُكْبِهِمْ .

- وَأَمِيرُهُمْ؟

- كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ...

- مَا أَغْرَبَ شَأْنُ الْقَوْمِ !

• • •

سَأَلَ «الْمُقَوَّقْسُ» الْأَسْوَدَ الْعِمْلَاقَ : أَيْنَ قَائِدُكَ ؟

قَالَ رَفِيقُ الْأَسْوَدِ :

- هُوَ أَمِيرُنَا ...

وَقَالَ الْأَسْوَدُ : وَأَنَا أَفَاوِضُكَ ..

جَحَظَتْ عَيْنَا «الْمُقَوَّقْسِ» :

- مَاذَا تَقُولُ ؟

- أَلَمْ تَسْمَعْ ؟ سَأُفَاوِضُكَ ؟

- أَنْتَ ؟ مُسْتَحِيلٌ ..!

صَاحَ رَفِيقُ الْأَسْوَدِ الثَّانِي :

هُوَ أَمِيرُنَا . هُوَ خَيْرُنَا عِلْمًا

وَرَأْيَا !

- مَا وَجَدْتُمْ غَيْرَهُ ؟



صَاحَ الرَّفِيقُ الْأَوَّلُ : لَا نَرْضَى عَنْهُ بَدِيلًا ...

لَمْ تَمُتِ الدَّهْشَةُ فِي عَيْنِ «الْمُقَوَّسِ» :

- هَذَا الْأَسْوَدُ؟ عَجَبًا !

ضَحِكَ الْعِمْلَاقُ الْأَسْوَدُ . قَالَ : لَعَلَّكَ لَا تُصَدِّقُ !

- مَاذَا ؟

- الْإِسْلَامُ سَاوَى بَيْنَ النَّاسِ ..

- كَيْفَ؟ بِمَاذَا تَتَفَاضِلُونَ إِذَنْ ؟

- بِالتَّقْوَى يَا رَجُلُ !

قَالَ وَاحِدٌ مِّنْ رَّفِيقَيْهِ : فَلْنَعُدَّ إِلَى «عَمْرٍو» ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ !

رَفَعَ الْعِمْلَاقُ يَدَهُ : لَا . أَوْصَانِي «عَمْرٍو» بِالصَّبْرِ ..

صَاحَ «الْمُقَوَّسُ» يَسْأَلُهُ : مَا اسْمُكَ يَا رَجُلُ ؟

- «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» .

- إِذَنْ هَاتِ مَا عِنْدَكَ ..

قَالَ «عُبَادَةُ» : إِنَّ كُنْتَ تَعْجَبُ فَهَنَّاكَ أَلْفُ مُسْلِمٍ مِّثْلِي أَسْوَدَ ..

- كَمْ تَتَقَاضَى رَاتِبًا ؟
ضَحِكَ «عَبَادَةُ» . وَقَالَ : حَسْبِيَ لَقِيَمَاتُ أَكْلَهَا ..
- مَعْقُولٌ ؟
- وَشَمْلَةٌ أَلْتَحِفُهَا ...
سَرَحَ «المُقَوَّسُ» بِفِكْرِهِ .
هُؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَنْخَدِعُونَ ..
أَمَّا الْقَيْصَرُ - قَيْصَرُ الرُّومِ ...
إِنْ طَلَبَ «المُقَوَّسُ» أَنْ يَدْخُلَ عَلَى الْقَيْصَرِ ..



آه. لَنْ يَدْخُلَ قَبْلَ أَصَابِيعِ !
فَإِنْ اسْتَقْبَلَهُ الْقَيْصَرُ حَرَصَ عَلَى الْأُبْهَةِ ...
يَرْتَدِي الْقَيْصَرُ أَفْخَرَ الثِّيَابِ . يَتَزَيَّنُ بِالْقَلَائِدِ . يَتَحَلَّى بِالْجَوَاهِرِ . يَرْتَدِي تَاجَهُ الذَّهَبِيَّ ..
يَتَكَوَّمُ كَالثُّعْبَانِ عَلَى كُرْسِيِّ الْعَرْشِ ...
يَرْكَعُ زَائِرُهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَيَقْبَلُ يَدَ الْقَيْصَرِ .
آه ..

الْأَسْوَدُ الْعِمْلَاقُ أَمِيرٌ .. مَاذَا يُمَيِّزُهُ عَنْ رَفِيقِيهِ ؟ لَا شَيْءَ ..
كَرَّ « الْمُقَوَّقْسُ » بِفِكْرِهِ . سَأَلَ « عِبَادَةَ » : مَاذَا تَطْلُبُونَ ؟
- حَدَدَ « عَمْرُو » الْمَطْلُوبَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ...
- وَالرَّابِعَةُ ؟
- لَيْسَ عِنْدَنَا رَابِعَةٌ أَيُّهَا « الْمُقَوَّقْسُ » ...
- بَلِ اسْمَعْنِي ...
- إِنَّنِي سَامِعٌ .. قُلْ ..
- نَتَّصَلِحُ يَا عِبَادَةَ ..
- عَلَى أَيِّ شَيْءٍ ؟
- لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ دِينَارَانِ .
- هَكَذَا ؟
- وَلَآمِيرِكُمْ مِائَةُ دِينَارٍ .
- ثُمَّ .

– لِلْخَلِيفَةِ أَلْفُ دِينَارٍ . تَقْبِضُونَ الْمَالَ دَفْعَةً وَاحِدَةً .

– وَبَعْدَهَا ؟

– تَعُودُونَ إِلَى دِيَارِكُمْ .

– صَاحُ «عِبَادَةُ» صِيحَةً أَنْخَلَعَ لَهَا قَلْبُ «الْمُقَوَّسِ» : – أَتَخَذَعْنَا أَيْهَا «الْمُقَوَّسُ» ؟

.. نَسِيتَ أَنَّنَا زَهَدْنَا الدُّنْيَا ؟

– مَاذَا تَعْنِي ؟

– وَاللَّهِ لِلشَّهَادَةِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْحَيَاةِ !

– لَكِنَّ الْقَدَرَ يُخْبِي لَكُمْ ..

قَاطَعُهُ «عِبَادَةُ» صَارِحًا : كَفَى، فَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ..

– أَنْتُمْ يَا عِبَادَةُ فَرِيسَةٌ سَهْلَةٌ لِلرُّومِ !

– الرُّومُ ؟ لَقَدْ هَزَمْنَاهُمْ شَرَّ هَزِيمَةٍ ..

– إِنَّهُمْ أَلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ وَأَنْتُمْ قَلَّةٌ ..

– كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ .

انْقَطَعَ حَبْلُ الْحَوَارِ . اسْتَدَارَ «عِبَادَةُ» وَرَفِيقَاهُ .

صَعِدَ «الْمُقَوَّسُ» أَعْلَى الْحِصْنِ يَنْظُرُ .. شَاهِدَ دُخَانًا يَتَصَاعَدُ مِنْ مَخِيَمِ الْمُسْلِمِينَ .

قَالَ لِنَفْسِهِ : قَوْمٌ لَا يَنْهَزِمُونَ . يَنَامُونَ عَلَى الْأَرْضِ . يَأْكُلُونَ وَسَطَ التُّرَابِ . الْكَبِيرُ

وَالصَّغِيرُ سَوَاءٌ ..

مَا أَعْجَبَ هَذَا !

اسْتَدْعَى «الْمُقَوَّسُ» كَبِيرَ حُرَّاسِهِ ..

- أَمْرُ مَوْلَايَ «المُقَوِّسِ» ..
- أَرْسِلْ إِلَى «عَمْرٍو» أَنَّنِي ذَاهِبٌ إِلَيْهِ .
نَظَرَ إِلَيْهِ كَبِيرُ الْحُرَّاسِ مَذْهُولًا ..
- أَنْتَ يَا مَوْلَايَ تَذْهَبُ إِلَيْهِ ؟
- مَا الْغَرِيبُ فِي هَذَا ؟
- فَلْيَأْتُوا إِلَيْكَ خَاضِعِينَ ..
قَاطَعَهُ «المُقَوِّسُ» بِحِدَّةٍ :
- لَا . هُمْ زَاهِدُونَ فِي الدُّنْيَا ..
وَبِنَظَرَةٍ صَارِمَةٍ صَاحَ :
- عَجِّلْ . لِنُنْجِزَ الصُّلْحَ قَبْلَ الْغُرُوبِ !

